الأهرام

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

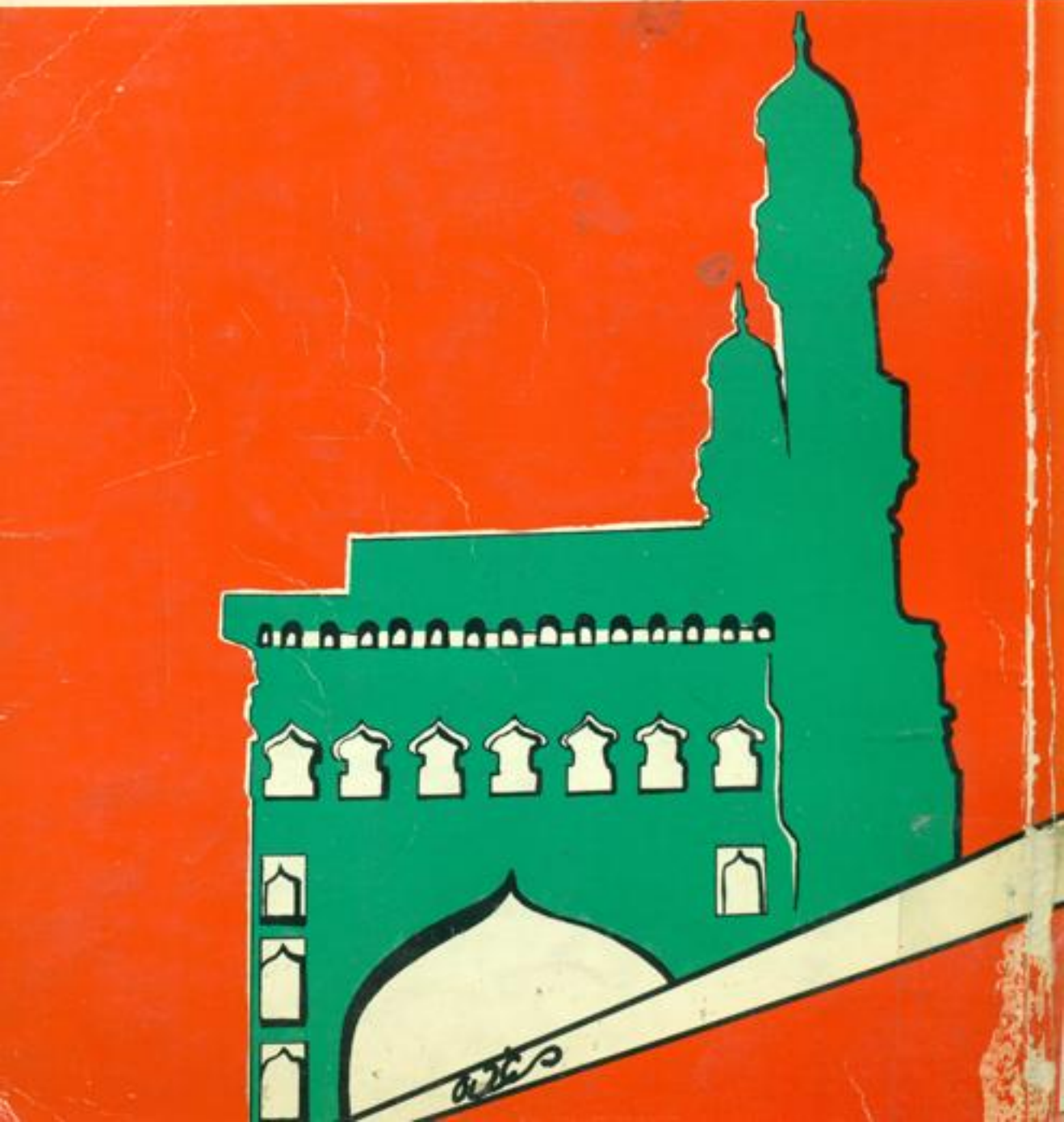

محمد علي الجمال (١٨٨٧ـ ١٩٨٤)

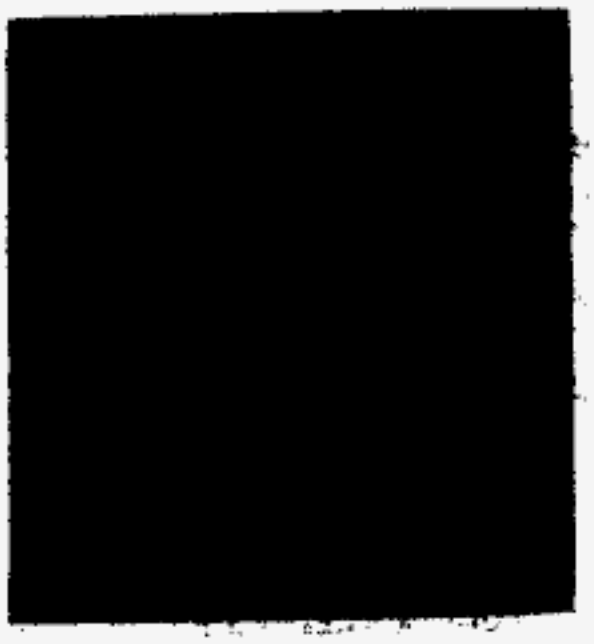

الفقيد الشيخ محمد علي الجمال ، احد أنبه تلامذة السيد محسن الامين العاملي بدمشق ، وقد عمل منذ العشرينات من هذا القرن في حقل التعليم والتربية في المدرسة المحسنية (العلوية سابقاً) تعليماً واشرافاً ، بالاضافة الى تسميته اماماً وخطيباً لجامع الزهراء ، وكرس أوقاته للوعظ والقاء المحاضرات الدينية والاخلاقية حتى السنوات الاخيرة من حياته كما ساهم بتوجيه مثل تلك المحاضرات من الاذاعة السورية منذ تأسيسها وعبر شاشة التلفزيون منذ احداثه ، وقد الف وشارك في تأليف حلقات كاملة من الكتب المدرسية لتدريس مادة الديانة الاسلامية لطلاب المدارس من الصفوف التمهيدية حتى المرحلة الثانية ، واشرف على تخريج نخبة من قراء القرآن الكريم ، واسس وشارك في كثير من الجمعيات الخيرية ، وله مؤلفات عديدة ـ مخطوطة ـ[1] في الدين والتأريخ الاسلامي ، ومما يؤثر عنه موقفه المشهود لجمع الشمل والتقريب بين مختلف المذاهب الاسلامية ومساهمته مع علماء دمشق في بناء صرح التعاون والتفاهم ونبذ التفرقة والسعي الى الوحدة الاسلامية .

وكان قد خصّ احد تلامذته ـ قبل وفاته ـ رحمه الله بهذه الترجمة الموجزة لحياته بقلمه نذكرها هنا لما فيها من العبرة والذكرى والفائدة :

---

(١) الذي بين ايدينا من مطبوعاته بحث بعنوان (اثر وقعة كربلا) نشر في كربلاء عام ١٣٨٦ هـ ضمن سلسلة منابع الثقافة الاسلامية العدد ١٠ من السنة ٧ ، وكذلك مقال له بعنوان (دمعة والد على ولده او الشهيد الصغير) نشر في مجلة العرفان السنة العاشرة (١٩٢٥م) ص ١٠٧٢ ـ ١٠٧٤ ، كتبه المرحوم الجمال على اثر نكبة دمشق الكبرى حين هاجمها الثوار وتغلغلوا فيها وذلك في ١ ربيع الثاني سنة ١٣٤٤ الموافق ١٨ تشرين الاول سنة ١٩٢٥ وقد قتل وحيده بقذيفة رمت بها احدى الطيارات الفرنسية على الدار التي فيها اهله .

معظم البدايات الاولى من حياتنا في البلاد العربية تحمل طابع الفقر والتواضع والجهل والتزمت ، لما كانت عليه البلاد في الحكم العثماني من التأخر العلمي والثقافي وسيطرة العصبية الذميمة والنفاق السياسي والاجتماعي والبؤس المتوزع حيثما كان . في مثل هذا الإطار الموحش من صورة الحياة العربية رأيت نور الوجود عام ١٣١٣ هـ من والدين فقيرين واسرة متواضعة حتى اذا بلغت الخامسة من العمر قادتني والدتي رحمها الله الى احد الكتاتيب القديمة ، ولم يكن آنذاك غير جامعة المساجد يتلقى فيها النشيء مبادىء العلوم ولكن ما لبثت ان انتقلت الى مدرسة حديثة درجت على اعطاء الدروس بطريقة مثلى بالنسبة لعصرها ، وانى لأذكر الآن كيف كانت سيدتي الوالدة ـ على أميّتها ـ تقدر العلم حق قدره وتعلي من شأنه ولا تألوا جهداً في توجيهي وارشادي الى ما فيه الخير والصلاح فجزاها الله عني خير الجزاء .

توفرت في مدرستي الجديدة على القراءة والاملاء والانشاء وعلى الرياضيات وغير ذلك من العلوم . كما توفر لي الوقوف على اللغة الفرنسية التي ما زلت حتى اليوم احسن التكلم بها . ولكن قلة ذات اليد وفقدان الوسيلة والحيلة في متابعة الدراسة الجأني الى ترك المدرسة ، فعملت كاتباً عند احد كبار التجار بضع سنوات كنت في خلالها ألازم المرحوم المقدس المجتهد الاكبر العلامة السيد محسن الامين ـ فتلقيت على يديه علوم النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان وشيئاً من علم الاصول . وقد عملت استاذاً في المدرسة العلوية الاسلامية . وهي التي كان قد اسسها العلامة الامين المذكور ، ودام عملي هذا قرابة الثلاثين من السنين تخرج خلالها جم غفير من النشيء ممن يتولى اليوم كبار المناصب الحكومية ، وممن اصاب حظاً كبيراً في عالم التجارة والاعمال الحرّة ، ولعل هذا اكبر ما ينسيني عظيم الجهد الذي بذلته في عمل التدريس المضني الذي سلخت فيه زهرة عمري .

بيد انني لم اكن انقطع عن متابعة المدارسة والمطالعة ، وكنت اعدّ الاحاديث للاذاعات العربية وابثّ المواعظ مؤدّياً في ذلك واجبي نحو ديني ووطني وقوميتي ، هذا فضلاً عن احياء ذكرى واقعة كربلاء في ايام العشر من المحرم كل عام في المدرسة المحسنية التي كانت فيما مضى تحمل اسم المدرسة العلوية وهي من جملة آثار العلامة الامين رحمه الله ، ولما كان الشكر قيد النعم ، فانني لاعترف بأني حسنة من حسنات هذا العلامة الفذ في دنيا العروبة والاسلام ، بل ثمرة من ثماره الوفيرة وخرّيجه وصنيعته ، فقد طوّق عمري بفضله وسهر على تنمية مداركي ، وكان لا يألوا ابداً في تشجيعي على العمل والتقدم بما عُرف عن سيادته في هذا الباب .

واسأله تعالى ان يختم لي وللمسلمين بالخير ، انه ولي التوفيق

علي الجمال